كنتُ لكَ وطنا
وكنتَ لي خيْبة
زروالي مفيدة

كنتُ لكَ وطنًا
وكنتَ لِي خيبَة

إهداء:

إلى من سكنته حتى ظننته وطنا، ثم رحلت عنه وأنا أحمل خيبتي وحدي.

حين يصبح القريب غريبا:

لا أعرف كيف يمكن لشخص كان يوما أقرب الناس إلى قلبك أن يصبح فجأة شخصا لا تعرفه، كنت أحدق في آخر رسالة بيننا وأعيد قراءتها للمرة التي فقدت معها القدرة على العد، لم يكن فيها شيء مؤلم كلمات عادية لكنني كنت أعرف أن وراء ذلك الصمت شيئا انتهى، شيئ لم يخبرني أحد بموعد موته، وضعت هاتفي جانبا ثم أخذته من جديد، كنت أنتظر أن يضيء اسمه الشاشة ولم يُضئ، انتظرت أن يُرسل لي كما كان يفعل دائما "اشتقت لكِ"، و انتظرت أن يقلق من غيابي لكنه لم ينبه حتى، انتظرت كثيرا حتى جاءني ذاك الشعور الذي كنت أهرب منه منذ أيام أنه لم يعد الشخص نفسه، والأسوأ من أن يتغير هو أن ابقى أحبه بالنسخة القديمة منه، كنت ما زلت أعرف كيف أحب ذلك الرجل الذي كان يسهر ليسمع صوتي، ويبحث عني إذا غبت، ويخاف من فكرة أن يمر يومه دون أن يحدثني، لكن أين ذهب وهل كان موجودا حقا أم أنني كنت أحب صورة صنعها لي في البداية ليتركني بعد ذلك أعيش فيها وحدي، لا أعرف متى بدأ كل شيء يتغير و إن كان هنالك يوم محدد قرر فيه قلبه أن يبتعد، ولا أعرف إن كانت هناك امرأة أخرى أو أن الحب انتهى ببساطة أو أنني كنت بالنسبة إليه مرحلة وانتهت، كل ما أعرفه أنني في تلك الأيام كنت أعيش بين سؤالين ماذا حدث له، و ماذا حدث لي، لأنني لم أكن أدرك حينها أنني لم أخسر شخصا فقط بل كنت أخسر المرأة التي أصبحتها وأنا أحبه، المرأة التي كانت تستيقظ من نومها لتطمئن عليه، التي تسأله إن أكل، وإن نام، وإن كان متعبا، التي كانت تحفظ تفاصيل يومه أكثر مما تحفظ تفاصيل يومها، المرأة التي كانت تسمع شكواه حتى آخر الليل رغم تعبها ومرضها ونعاسها، و التي كانت تقول له "أنا فخورة بك" كلما شعر أنه لم يعد قادرا على الاستمرار، والتي كانت ترى نجاحه انتصارا، وحزنه وجعا، وتعبه مسؤولية مشتركة، أختلق الأعذار لأبتعد قليلا عن الجميع وأتصل به، ليس لأعاتبه فأنا لم أكن أريد شجارا كنت أريد فقط أن أسمع صوته، و أسأله عن حاله، و أن أقول له أنني أحبه، و أشجعه كما اعتدت أن أفعل، لكن الهاتف يرن ولا يجيب، أعيد الاتصال رغم أن هذا ليس من عادتي ولا يجيب ايضا، وفي كل مرة كنت أشعر أنني أفقد شيئا لا أعرف كيف أسميه، لم أكن أطلب الكثير كنت فقط أريد الرجل نفسه الذي كان في بداية الحكاية، الرجل الذي كان يتصل بي كل دقيقة فقط ليقول "اشتقت إليك" الرجل الذي كان لا يحتمل أن أغلق الهاتف و كان يبحث عني إن غبت قليلا، الرجل الذي جعلني أشعر في وقت ما أن وجودي في حياته ليس أمرا عاديا،

كنت ما زلت أحب ذلك الرجل لكن المشكلة أنني لم أعد أعرف أين ذهب و لماذا ذهب، لما تغير، هل انتهى حبه، هل اعتاد وجودي حتى لم يعد يخاف خسارتي،

هل أصبح في حياته ما يشغله عني، أم أن هناك شخصا آخر أخذ المكان الذي كنت أظنه ملكا لي، لم أملك جوابا وكلما حاولت أن أسأله كان الصمت يسبقني، ثم بدأت ألاحظ أني لم أعد أتألم فقط لأنه لا يتصل بل أتألم لأنني أصبحت أنا التي تتصل، أنا التي تنتظر، أنا التي تسأل، و أنا التي تحاول أن تجد عذرا جديدا حتى لا تنهار الصورة القديمة في رأسي، وكان هذا أكثر ما يؤلمني أنني لم أعد أعرف نفسي، أنا التي كنت أعيش مطمئنة إلى حبه أصبحت أبحث عن علامات صغيرة تثبت أنه ما زال يحبني، أنا التي كنت أسمع منه كل يوم كلمات الشوق أصبحت أنتظر أي اهتمام بسيط، أنا التي كان غيابي يوما يقلقه أصبحت أختفي وأعود دون أن يسأل او ينتبه،

وفجأة سألت نفسي متى بدأ كل هذا، و متى تحول الرجل الذي كان يخاف أن يفقدني إلى رجل لا يعنيه غيابي، متى أصبحت مكالمتي عبئا و كلماتي التي كانت تسعده شيئا يستطيع تجاهله ببرود، لم أعرف وربما لن أعرف أبدا، لكنني كنت أعرف شيئا واحدا أنَّ خسارتي لم تكن يوم تَغَيَّر بل كانت يوم صدقت أن الإنسان الذي أحببته سيبقى كما عرفته، ويوم وضعت قلبي في مكان ظننته آمنا ولم أكن أعرف حينها أن بعض الأشخاص لا يأتون إلى حياتنا ليكونوا العوض الذي انتظرناه بل ليكونوا الدرس الذي لم نكن مستعدين له.

كنت أظنك العوض:

لم أكن أخاف أن يتركني أحد كنت أخاف فقط أن أعتاد وجود شخص ثم أكتشف في يوم ما أنني كنت وحدي طوال الوقت لهذا حين جاء هو لم أطلب الكثير، لم أكن أبحث عن حياة تشبه الحكايات، ولا عن رجل لا يخطئ، ولا عن أيام خالية من الخلاف، كنت أريد قلبا صادقا فقط، قلبا حين يقول "أنا معك وأحبك" أشعر معه بالأمان و لا أقضي الليل أبحث عن إجابة لسؤالي "هل ما زال يحبني"

وحين وصلتني رسالته الأولى لم أتوقع أني على وشك أن أضع في شخص غريب كل المعاني التي تمنيتها طويلا، عرّفني بنفسه وحكى لي عن حياته عن عمله وأمنياته وعن أشياء كنت أراها مهمة جدا في الرجل الذي سأكمل معه حياتي

كان حافظا للقرآن، محافظا على صلاته، يعمل و يتعب من أجل أن يحقق ما يتمنى، فيه صفات كثيرة تمنيتها في شريك حياتي، و دعوت الله بها طويلا، لم أنتبه وقتها أن الإنسان حين يرى أمامه الأشياء التي دعا الله بها يميل إلى أن يصدق قبل أن يتأكد، لم أقل لنفسي يومها هذا هو الرجل الذي سأحبه لكن شيء في داخلي شعر بالراحة، ثم بدأ اهتمامه وكان كثيرا إلى درجة جعلتني أستغربه أحيانا، كان يتصل كثيرا ثم يطيل الحديث ثم يعود للاتصال من جديد وكأن ساعات اليوم كلها لا تكفيه، و النوم لا يعني له نهاية الحديث فيترك الهاتف مفتوحا ويغفو على صوتي، وإذا استيقظ فجأة ولم يجد المكالمة كما تركها يبحث عني قبل أن يستوعب أين هو ثم يتصل من جديد وكأن شيئا أفزعه ليقول بنبرة نصف نائمة "ابقي معي، لا تغلقي المكالمة حتى لو نمت"

لم أكن أفهم وقتها كيف يمكن لإنسان أن يخاف من صمت الهاتف إلى هذا الحد، أضحك أحيانا وأُطمئنه أنني هنا ولم أعرف أنني سأصل يوما إلى مكان يصبح فيه الهاتف نفسه شاهدا على الفرق بيننا، بين رجل كان يستيقظ من نومه بحثا عني وامرأة ستقضي ليالي كاملة تحدق في الشاشة تنتظر منه مجرد إجابة

كنت أسمع منه كلمات كثيرة "أحبك، اعشقك، أنت حياتي أنت نفسي و O2 خاصتي، كان يتحدث عن الزواج وكأنه يتحدث عن شيء ينتظرنا فقط أن نصل إليه يرسم المستقبل بالكلمات، بيت، أطفال، أيام طويلة معا، وأشياء صغيرة لا أذكر منها كل التفاصيل لكني أذكر الشعور الذي كانت تتركه في داخلي، كنت أستمع إليه وأبني، كلمة منه تفتح في خيالي نافذة، وجملة أخرى تجعلني أرى يوما لم يأت بعد حتى أصبحت الأحلام التي يتحدث عنها تبدو لي كأنها شيء يخصنا فعلا

كان يقول "أنت ملكي" ثم يضيف بثقة تجعلني أبتسم "لن تكوني لغيري"، لم أفكر للحظة أن الكلمات التي تجعلنا نطمئن في البداية قد تصبح يوما أكثر الأشياء التي تؤلمنا، وثقت فيه لدرجة أني كنت أناديه ب "أبي" فيرد فرحا "ابنتي حبيبتي"، في تلك الكلمات شيء لا أستطيع وصفه بسهولة شيء جعلني أقترب منه أكثر،

لم أشعر أني أمام رجل أحبه فقط بل شعرت أني وجدت شخصا أستطيع أن أضع عنده ضعفي دون خوف، حين أتعب كان يعرف ذلك من صوتي فلم يكن يكتفي بأن يقول لي ارتاحي بل يبقى و يُطيل الحديث معي ويترك صوته قريبا مني حتى يهدأ تعبي، و حين أقول أنني أريد النوم يؤجل نهاية المكالمة مرة أخرى، فأستغرب تعلقه بي، و أستغرب كيف لشخص أن يشتاق بهذا القدر وكيف يمكن أن يخاف من دقائق الغياب و كيف لصوت واحد أن يصبح مهما إلى هذا الحد، لكنه لم يتركني طويلا مع أسئلتي، فكان يغمرني بمزيد من الحب، ومع كل مرة كان يقول فيها إنه اشتاق لي كنت أصدقه أكثر حتى جاء الوقت الذي لم أعد فيه أسمع كلامه ككلام بل أصبحت أراه وعدا، وعدا بأن هذا الرجل سيبقى، وأن هذا الاهتمام لن ينتهي، وأني وجدت شخصا لا يحتاج مني أن أطلب منه الحب لأنه يمنحني إياه قبل أن أطلبه وهنا بدأت حكايتي الحقيقية معه لأنني لم أحب الرجل وحده أحببت الطريقة التي جعلني أرى بها نفسي، أحببت شعوري وأنا معه، و أحببت أن هناك شخصا ينتظر صوتي ويبحث عني ويشتاق لي، لذلك حين بدأ قلبي يتعلق به لم أنتبه إلى السرعة التي كنت أبتعد بها عن نفسي، و كل مرة أقول لنفسي و السعادة تغمرني هذا هو العوض، كنت سعيدة بما يكفي لأصدق كل شيء، حتى الأشياء التي كان ينبغي أن أتأنى أمامها لأني رأيته كما تمنيت أن يكون فلم أعد أتعرف إليه كما هو بل بدأت أراه كما حلمت به

ومع ذلك لم أندم على تلك الأيام لأنها كانت حقيقية بالنسبة إلي، ضحكاته كانت حقيقية، انتظاره كان حقيقيا، اشتياقه كان يصلني، والحنان الذي أعطاني إياه في تلك البداية دخل قلبي دون استئذان، ولذلك لم أكن أدرك أنني في الوقت الذي كنت أطمئن فيه إلى وجوده كنت أضع قلبي كله في يديه قلبا لم أكن أعرف بعد كم سيؤلمني أن أسترده منه يوما.

حين أصبح يومي يحكيك:

لم أعرف متى أصبحت أحكي لك كل شيء، لم يكن الأمر قرارا اتخذته ولا شيئا طلبتَه مني، كنت فقط أجد نفسي أحدثك عن يومي و كل الأشياء التي حدثت فيه حتى تلك الأشياء التي لا تستحق أن تُروى، عن موقف صغير أضحكني أو شيء أزعجني، عن شخص قابلته أو فكرة خطرت ببالي، كنت أخبرك أين ذهبت ماذا فعلت وما الذي حدث معي و حتى التفاصيل العابرة التي كنت في السابق أحتفظ بها لنفسي

لم أكن أقول "سأخبره بهذا" ثم أجد نفسي قد أخبرتك بالفعل وكأن الحديث معك أصبح امتدادا طبيعيا ليومي، كنت أعيش يومي مرتين مرة حين يحدث ومرة حين أحكيه لك، ومع الوقت لم تعد أحاديثي معك عن الأشياء التي تحدث حولي فقط بل عن ما يحدث بداخلي أيضا، كنت أحدثك عن أحلام رأيتها حتى تلك التي لا معنى لها وعن كوابيس كانت توقظني بخوف لا أعرف كيف أشرحه، و لم أكن دائما أبحث عن تفسير، أحتاج فقط إلى أن أقول لك أني رأيت ذلك وأسمع منك شيئا يطمئنني لأشعر أن مخاوفي مهما بدت في عيني تصبح أخف بمجرد أن تصل إليك، ولم أشعر بالحرج من أن أحكيها، بل أشعر أني أستطيع أن أكون معك كما أنا دون أن أرتب كلامي أو أخفي شيئا أو أفكر كثيرا قبل أن أتكلم، وهذا النوع من الأمان لا يأتي بسهولة، فتحت لك أبوابا في داخلي لم أكن لأفتحها لغيرك لأني معك لم أكن أشعر أن علي أن أبدو قوية طوال الوقت، فكنت أستطيع أن أقول أنا خائفة، أنا متعبة، أنا قلقة، وأنا أعلم أنك ستسمعني، و ربما لهذا السبب بدأت أتعلق بك أكثر مما أدركت، لم يكن تعلقا مفاجئا بل تسلل إلي بهدوء مع كل مرة أخبرك فيها عن شيء لم أخبر به أحدا، وفي كل مرة أبحث عنك بعد موقف صغير، وفي كل مرة يحدث فيها شيء وأفكر تلقائيا "سأخبره عندما نتحدث" فأنا أفرح لوجودك في تفاصيل أيامي بطريقة لم أنتبه لها، و أفرح بأن أخبرك بما أسعدني أكثر من فرحي بحدوثه، إذا حدث شيء جميل أريد أن تعرف، وإذا ضاق صدري أريد أن أسمعك، وإذا مر يوم عادي جدا كنت أجد فيه شيئا أحكيه لك، وفي المقابل بدأت أعرفك أنا أيضا، أعرف تفاصيل عملك، وأوقات تعبك، و نومك وما الذي يزعجك، وما الذي يسعدك، أعرف من نبرة صوتك إن كنت بخير فعلا أو أنك تقول "أنا بخير" فقط لأنك لا تريد الكلام، ألتقط الأشياء التي تقولها عابرا ثم أجد نفسي أتذكرها بعد أيام، لم أكن أحاول أن أحفظ تفاصيلك، كنت فقط أهتم، وهناك فرق كبير بين أن تحفظ شيئا لأنك تحاول وبين أن يبقى الشيء في ذاكرتك لأن صاحبه أصبح يعني لك الكثير، بدأت أتعلمك بهدوء وأحببت ذلك، أحببت أن أعرف ما وراء صمتك وما

الذي يخفف عنك وما الذي يجعلك أكثر راحة، كنت أريد أن أكون الشخص الذي تستطيع أن تأتي إليه بعد يوم متعب لا ليحل مشاكلك كلها وإنما لتعرف أنك لست مضطرا إلى حملها وحدك، إذا شعرت أنك فشلت أذكرك بما نجحت فيه، إذا تعبت أحاول أن أخفف عنك، وإذا أخبرتني عن شيء أنجزته أشعر بالفخر وكأنه إنجاز يخصني أنا أيضا، أردد كثيرا عبارة "أنا فخورة بك" ولم تكن جملة عابرة بل كنت أعنيها وأريدك أن ترى نفسك كما كنت أراك، ومع الأيام بدأ وجودك يأخذ مساحة أكبر في حياتي دون أن أشعر، لم أعد أشاركك الأحداث الكبيرة فقط بل أشاركك الحياة نفسها، وهنا بدأ شيء آخر يتغير، أؤجل الكثير من الأشياء من أجلك وأعتذر عن بعض المواعيد، أختصر الزيارات وأجد نفسي أبحث عن وقت أبقى فيه معك حتى لو كان ذلك على حساب أشياء أخرى، لم تكن كل مرة بطلب منك كنت أنا من أختار، و أقول لنفسي: "سأبقى معه قليلا ثم أذهب" لكن القليل يمتد والحديث يطول، واليوم المقسوم بين أشياء كثيرة ينتهي وقد أخذت أنت الجزء الأكبر منه ومع ذلك لم أشعر أني أخسر شيئا بل أظن أني أبني شيئا، كنت أظن نفسي أبني علاقة تستحق أن أعطيها وقتي، فلم أكن أحسب كم أعطيت، ولم أبحث عن مقابل فأنا ارى ان الحب لا يقاس بهذه الطريقة، كنت فقط أريد أن أشعر أنك تعرف بأن هناك قلبا في مكان ما يهتم بك حقا، وأنك إذا تعبت ستجدني، وإذا فرحت سأفرح معك، وإذا خفت ستجد من يسمع خوفك، لم أعرف أني في الوقت الذي كنت أفتح لك فيه تفاصيل يومي وأحلامي ومخاوفي كنت أجعلك جزءا من عالمي، جزءا لا يحتاج إلى دعوة، ولا إلى موعد ولا إلى سبب، ولم أتوقع أني سأصل يوما إلى مرحلة لا أعرف فيها كيف أعيش شيئا جميلا دون أن أتمنى أن أحكيه لك، ولا كيف أخاف من شيء دون أن أبحث عنك، ظننت أني فقط أحبك ودون أن أدري بدأت أبني لك مكانا في حياتي أكبر مما كنت أتصور.

كنت لك وطنا:

لم أعرف متى أصبح الاهتمام بك شيئا يشبه الغريزة، لم أكن أجلس لأقرر أن أسأل عنك بل أفعلها تلقائيا، إذا عرفت أنك لم تأكل ظل السؤال في رأسي، وإذا أخبرتني أنك متعب لم أستطع أن أتصرف وكأن الأمر لا يعنيني، أسأل باستمرار هل أكلت، هل نمت، كيف صحتك اليوم، هل أنت بخير، أسئلة بسيطة جدا لكنها بالنسبة لي لم تكن كذلك فأنا أريد أن أعرف أنك بخير لأستطيع أن أرتاح وأتعامل مع تعبك وكأنه شيء يمسني بطريقة ما، إذا كان يومك سيئا أحاول أن أجعله أخف، و إذا ضاق صدرك أبقى معك، وإذا شعرت أنك لم تعد قادرا على تحمل ما عليك أحاول أن أذكرك بأنك تستطيع، كنت أحتويك أكثر مما أطلب منك أن تحتويني، ولم أشعر يوما أنني أقدم لك شيئا بل أراه أبسط ما يمكن أن يفعله شخص يحب

تعمل ليلا وتنام نهارا و رغم تعبك تتصل بي في وقت متأخر لتوقظني وتقول "نيميني" فأبقى معك حتى تنام أكون متعبة و يغلبني النعاس لكني لم أكن أريد أن أنهي المكالمة وأتركك وحدك، أسمع صوتك يهدأ شيئا فشيئا وأبقى حتى أعرف أنك نمت، و أحيانا أوقظ نفسي من نومي من أجلك، لم أفكر وقتها أنني أتنازل عن راحتي، كنت أفكر فقط "هو يحتاجني الآن" و هذه الجملة تكفيني، حتى حين أكون مريضة أو مرهقة لم أكن أحب أن أشعرك بأن وجودك عبء علي فأحتوي تعبك وأنا أخفي تعبي، ليس لأني كنت أقوى منك بل لأني كنت أراك شخصا يستحق أن يجد مكانا آمنا يعود إليه، ولهذا بدأت أترك أشياء كثيرة من أجلك، أعتذر عن التجمعات، أختلق الأعذار لأهلي، أرفض الخروج أحيانا، وألغي مواعيد رتبت لها من قبل فقط لأنني أردت أن أبقى معك، أقول لنفسي سأقضي بعض الوقت معه ثم أعود لكني لم أكن أعود دائما، شيئا فشيئا أصبحت أختار وجودك على أشياء كثيرة دون أن أشعر أنني أختار و أجد لك مكانا في كل شيء، في وقتي و راحتي و في خططي، كنت أعتقد أن الشخص الذي أحبه يستحق أن أضع له وقتا من يومي حتى لو اضطررت إلى أخذه من أشياء أخرى، ولم أكن أرى في ذلك خطرا لأنني لم أكن أشعر أنني أبتعد عن الجميع، كنت أشعر فقط أنني أقترب منك، وهذا هو الفرق الذي لم أفهمه إلا بعد فوات الأوان، كنت أقترب منك وأبتعد عن نفسي دون أن أنتبه،

حتى أهلي لم يفهموا ما كان يحدث، وحين بدأوا يعرفون بوجودك حدثت بيننا خلافات و خسرت ثقتي، شعرت أنني ممزقة بين أشياء كثيرة، ومع ذلك لم أتراجع،

غبت فقط ليومين لأوهمهم أنني قطعت علاقتي بك، ظننت أن غيابي سيمنحني فرصة لأهدئ الأمور ثم عدت إليك، لم أعرف أن هذين اليومين سيكشفان لي شيئا لم أكن مستعدة لرؤيته، توقعت أن تسأل عني أن تقلق و تشعر أن شيئا غريبا حدث

فقد كنت أعرف كيف كنت تتصرف سابقا حين أغيب عنك، لكن حين عدت لم تسأل، لم تبحث، و لم تبدُ وكأنك عشت اليومين منتظرا عودتي، استقبلتني ببرود أربكني، ولأول مرة شعرت بشيء لم أكن أعرف كيف أسميه، لم يكن مجرد حزن

كان سؤالا صغيرا بدأ يكبر داخلي، هل ما أفعله من أجلك يعني لك كما يعني لي

دفنت السؤال وقتها لم أرد أن أفسد كل ما بيننا بسبب موقف واحد، وعدت إلى طبيعتي أهتم، أسأل، أحتوي و أشجع و أجد دائما سببا يجعلني أستمر، و أقول ربما متعب ربما لم ينتبه ربما الرجال لا يشعرون بالأشياء بالطريقة نفسها وكنت كالعادة أجد لك عذرا قبل أن أجد لنفسي حقا في الحزن

لم أكن أريد علاقة أكون فيها مجرد امرأة يحبها كنت أريد أن أكون مسكنه الآمن، وحين قلت له يوما أنني أراه مثل طفلي لم تكن مجرد كلمة عابرة بل كان في داخلي شيء أمومي تجاهه، أفرح حين ينجح، أحزن حين يتعب، أقلق حين يتأخر، و كنت أظن أن الإنسان حين يجد شخصا يعتني به بهذا الشكل سيخاف أن يخسره، لكني لم أعرف وقتها أن بعض الناس لا يخافون فقدان النعمة وهم يعيشون فيها، يتعودون عليها فتصبح الأشياء التي كانت تدهشهم في البداية أمرا عاديا، تصبح المكالمة التي كنت أترك كل شيء من أجلها مجرد مكالمة، والسؤال الذي كنت أكرره خوفا عليه مجرد سؤال، والوجود الذي كنت أعتبره مسؤولية حب يصبح شيئا مضمونا،

وأنا كنت أستمر في العطاء لأني لم أكن أحب بطريقة تعرف كيف تعطي نصف قلبها و تحفظ النصف عندها، كنت إذا أحببت أحببت بكل ما لدي، وإذا اطمأننت لشخص فتحت له الأبواب كلها، ولذلك لم أنتبه أني لم أكن أعطيه وقتي فقط بل كنت أعطيه راحتي وهدوءي وعلاقتي بكل من حولي، وأشياء من مبادئي التي كنت أظن أنني لن أتنازل عنها يوما، كنت أظن أن كل ذلك سيصنع بيننا شيئا لا يهتز بيتاً من الوفاء، وحينها لم أكن أدرك أني كنت أبني وحدي وأشد ما يؤلم في بعض البيوت أنها لا تسقط يوم يرحل أحد بل حين تكتشف متأخرا أنك كنت الشخص الوحيد الذي كان يبنيها.

حين بدأ الحب يؤلمني:

لم يكن كل ما بيننا جميلا هذه حقيقة لم أحب الاعتراف بها طويلا، كان هناك أشياء فعلها وأوجعتني، وأشياء تجاوز بها حدودا لم أكن أريد أن يتجاوزها، وأشياء كنت أخرج منها وأنا أسأل نفسي "كيف استطاع الشخص الذي يقول إنه يحبني أن يفعل هذا"، كنت أُصدم وأغضب، وأحيانا أبكي ثم أبتعد، أحظره من كل مكان لا لأنتصر عليه بل لأني كنت أشعر أني إذا بقيت قريبة منه في تلك اللحظة سأضعف وأسامح قبل أن أفهم حتى لماذا تألمت، أحتاج إلى مسافة صغيرة أستعيد فيها نفسي لكن تلك المسافة لم تكن تدوم طويلا، كان يبحث عن طريقة للوصول إلي، رقم آخر، محاولة أخرى، إلحاح مستمر في الاعتذار، و وعود كثيرة، وأحيانا لم يكن اعتذاره يشبه الاعتذارات العادية، يتحدث وكأنه خائف فعلا من أن يخسرني، يحلف مرارا أنه لن يكرر ما فعل و يعترف أن كل خلافاتنا هو السبب بها، و يقول سأبقى أعتذر في كل وقت و في كل حديث حتى لو نسيتي الحكاية و بأنه في كل مرة سيذكرني أنه مخطئ و نادم، أسمعه وأحاول أن أبقى غاضبة و أقول لنفسي هذه المرة لن أسامح هذه المرة يجب أن يفهم أن بعض الأشياء لا يمكن تجاوزها بسهولة، وفي إحدى المرات كنت قد وصلت إلى مرحلة لم تعد فيها الكلمات تكفيني، كان الأذى أكبر من أن تغطيه كلمة "سامحيني" قلت له إنني لن أسامحه و كنت مقتنعة بذلك

كان يتحدث معي عبر الكاميرا ثم رأيت دموعه، لم أكن لأحتمل رؤيته حزينا وهذه كانت إحدى نقاط ضعفي معه، أستطيع أن أتحمل أذاه أكثر مما أستطيع أن أتحمل رؤية الندم في عينيه، تغيرت نبرة صوتي، هدأت وبعد كل ما قلته لنفسي سامحته

ليس لأن ما فعله أصبح مقبولا، وليس لأن وجعي اختفى بل لأني كنت أحب الشخص الذي يقف أمامي، وأردت أن أصدق أن هذه المرة ستكون مختلفة، كنت أريد أن أصدق أن الندم يمكن أن يغير الإنسان، وأن الاعتذار الصادق يعني أن الخطأ لن يعود، في البداية كنت أصدقه، ثم حدث الأمر مرة أخرى، وبعدها تكرر و تكرر، وكان كل وعد جديد يشبه الوعد الذي سبقه لكني لم أعد أشبه المرأة التي صدقت الوعد الأول، في المرة الأولى كنت أقول هو أخطأ ولن يكررها ثم أصبحت أقول ربما يكررها لكن ربما يتغير، ثم وصلت إلى مرحلة لم أعد فيها أثق بالوعد وإنما أثق برغبتي في أن ينجح الوعد، وهذا فرق كبير، كنت أعرف في داخلي أن ثقته لم تعد كما كانت، و رغم ذلك أخبره دائما أنه أحسن رجل في العالم وكنت أقولها بحب حقيقي، لكن شيئا صغيرا بدأ يتساءل داخلي إذا كان أحسن رجل في العالم بالنسبة لي فلماذا يؤذيني بهذا الشكل، لم أكن أريد أن أواجه السؤال، و أحب الصورة التي رسمتها له في قلبي، وأحب الرجل الذي تمنيت أن يكونه، وأحب أيضا

الرجل الذي كان يظهر لي أحيانا بعد كل خطأ حين يبكي ويعتذر ويعدني أن يكون أفضل

لذلك كنت أعود كل مرة و أقول أن الإنسان يخطئ وأن الحب الحقيقي لا يكون في الأيام الجميلة فقط واني إذا تركته عند أول خطأ فلن أكون قد أحببته كما كنت أقول،

ولم أنتبه أنني بدأت أستخدم الحب ضد نفسي، فكنت أتحمل لأني أحب، وأبرر لأني أحب، وأسامح لأني أحب، وأصمت لأني أحب، حتى أصبح الحب في بعض الأيام سببا في أن أقبل ما كان قلبي يرفضه، لم أكن أريد أن أخسره لذلك لم أدرك أن الخوف من خسارة شخص قد يجعلنا نخسر أشياء من أنفسنا ونحن ما زلنا معه.

حين خفت من حبك:

في مرحلة ما لم أعد أخاف من أن تتركني فقط بل بدأت أخاف من أن تبقى،

أعرف أن الجملة تبدو غريبة لكني كنت أخاف من أن أبقى معك وأعيش الخوف نفسه مرة أخرى، كنت أحب قربك لكنني أخاف من اليوم الذي سيتغير فيه كل شيء، تغير نبرة صوتك كان كافيا ليجعلني أفكر كثيرا، بدأت أراقب التفاصيل التي لم أكن أراقبها من قبل اختلاف في النبرة، كلمة ناقصة، تأخر في الرد، صمت أطول من المعتاد، لم أعد أتعامل مع الأشياء كما هي بل كنت أبحث دائما عما وراءها و أردد هل سيحدث شيء، هل هو غاضب، هل تغير، هل هناك شيء لم يخبرني به، هل أخطأت

و كنت أكره أن أصل إلى هذه المرحلة، أنا التي كنت في البداية أشعر بالأمان معك أصبحت أبحث عن الأمان في كل كلمة تقولها، كنت أحتاج أن تطمئنني دون أن أطلب و أشعر أنني ما زلت مهمة و أعرف أن ما حدث في الماضي لن يتكرر،

لكن الماضي كان قد علمني ألا أثق بسهولة وأنت كنت الشخص الذي جعلني أتعلم ذلك

كنت ما زلت أقول لك نفس الكلام المليء حبا وما زلت أهتم بك وأحتويك، لكن داخلي لم يعد كما كان، خوف صغير يعيش معي وكلما حاولت تجاهله كبر، أحيانا أغضب من نفسي و أفكر كثيرا لماذا لا أستطيع أن أحبه ببساطة، و لماذا أحلل كل شيء و لا أستطيع أن أطمئن، ثم أتذكر أنني لم أولد خائفة، أنا فقط تعلمت الخوف من الأشياء التي تكررت، لم أكن أشك فيك لأنني أردت أن أشك، كنت أشك لأن ثقتي بك لم تعد محمية بالوعود وحدها، كنت أحتاج إلى أفعال وأنت تمنحني كلاما كثيرا ثم تتركني أمام أفعالك حائرة، ومع ذلك بقيت ظنا مني أن الحب يحتاج إلى صبر وكنت صابرة، و كنت أظن أن ما بيننا يستحق أن نحاول من أجله فحاولت.

حتى وصلت للحظة أصبح فيها الصبر استنزافا والمحاولة استنزافا والانتظار استنزافا، ثم تأتي مرحلة لم ارد فيها شيئا سوى أن أرتاح

ثم أصبحت أنا التي أتصل:

لم يتغير كل شيء في يوم واحد وهذا ما جعل الأمر أصعب، لو أنك استيقظت في صباح واحد وقلت لي إنك لم تعد تحبني ربما كان الألم واضحا، ربما بكيت و تألمت ثم تعافيت، لكن ما حدث كان أبطأ من ذلك، بدأت المسافة تكبر بيننا دون أن يعلن أحد عن ذلك، المكالمات قَلت، الاهتمام اختفى، الكلمات التي كنت أسمعها كثيرا أصبحت نادرة، والشخص الذي كان يبحث عني وسط زحام يومه و تعبه أصبح لديه دائما ما يشغله عني، في البداية لم أستوعب كنت أنتظر أن تعود كما كنت ثم بدأت أقترب أنا، أختلق الأعذار لأتصل بك لا لأعاتبك، ولا لأطالبك بشيء، أتصل فقط لأقول أحبك ولأسأل عن حالك، ولأقول لك أنني فخورة بك، أحاول أن أعطيك شيئا من الحب الذي كنت أعرفه منك في البداية، ظننت أنك ستتذكر و أن الحنان حين أعيد تقديمه سيوقظ فيك شيئا نام، فأتصل كثيرا وهذا لم يكن من عادتي و لا ترد فيخيب أملي كل مرة أكثر، أنا التي كنت في السابق أجد اتصالاتك أمامي طوال الوقت أصبحت أنا من أبحث عن فرصة لأسمع صوتك، أنظر إلى الهاتف وأفكر

ربما سيرد الآن ثم يمر الوقت ولا شيء سوى أن الأمر يؤلمني بطريقة لا أستطيع وصفها، ليس لأن مكالمة لم يُجب عنها تستحق كل هذا الحزن بل لأن المكالمة كانت تحمل معها معنى أكبر فلماذا لم يعد وجودي يعني لك ما كان يعنيه، كنت أحاول أن أُنقذ شيئا أشعر أنه يهرب مني، وأنت لم تعد تبدو خائفا من فقدانه، وهنا بدأت أرى المفارقة التي لم أكن مستعدة لها الرجل الذي كان يستيقظ من نومه مفزوعا يبحث عني إذا أغلقت المكالمة أصبح لا يجيب حين أتصل، الرجل الذي كان لا يحتمل غيابي أصبح غيابي لا يلفت انتباهه، والمرأة التي كان يبحث عن صوتها أصبحت تنتظر منه مجرد كلمة، كنت أقول لنفسي لا تتصلي مرة أخرى ثم أشتاق وأتصل ليس ضعفا بل أملا كنت ما زلت أبحث به عن الرجل الذي عرفته لكنني كنت أبحث عن شخص لم يعود موجودا.

كنت لي خيبة:

احتجت وقتا طويلا حتى أفهم أني لم أكن أبكي عليه وحده بل كنت أبكي على نفسي، على المرأة التي دخلت هذه العلاقة بقلب مفتوح ثم خرجت منها وهي لا تعرف أين وضعت نفسها، كنت أبكي على كل مرة سامحت فيها وأنا أظن أن التسامح سيقربنا

على كل مرة أخفيت فيها وجعي حتى لا أكون سببا في تعبه و على كل مرة قلت فيها "لا بأس" بينما كان في داخلي ألف شيء ليس بخير، كنت أبكي على أحلام بنيتها معه رغم أنها لم تكن مكتوبة على ورق، بيت تخيلته و أياما حلمت بها، تفاصيل صغيرة تحدثنا عنها وكأن المستقبل شيء مضمون، عشت تلك الحياة في خيالي حتى أصبحت أشعر أنها تنتظرنا فعلا ثم اكتشفت أنني كنت أبني مستقبلا لشخص لم يكن يعرف أنه وعدني به، وكنت أؤمن بأشياء ربما لم يكن هو يؤمن بها بالقدر نفسه، وهذا النوع من الخيبة لا يشبه فقدان شخص فقط، إنه فقدان حياة كاملة كنت قد عشتها في خيالي قبل أن تبدأ،

ومع ذلك لم أكرهك، ربما تمنيت في لحظات كثيرة لو أستطيع لكني لم أستطع، كيف أكره شخصا كنت أخاف عليه أكثر مما أخاف على نفسي، كيف أمحو من قلبي شخصا كان في وقت ما يعرف أحلامي، وكوابيسي وتفاصيل أيامي وأشياء لا يعرفها عني أحد، كيف أجعل كل شيء كأنه لم يحدث، لم أستطع لكني تعلمت أنه ليس كل من أحببناه كان نصيبا لنا، وليس كل من جاء بعد دعاء طويل يكون العوض الذي انتظرناه، أحيانا يأتي شخص نحبه بصدق ثم يترك فينا وجعا لا نعرف كيف نحتمله لا لأنه كان قدرا سيئا بالضرورة، بل لأنه كان درسا، ودروس كثيرة لا نفهم معناها ونحن نعيشها و نفهمها فقط بعد أن تهدأ العاصفة و بعد أن نعود إلى أنفسنا، و ننظر إلى كل ما تنازلنا عنه ونسأل لماذا فعلت كل ذلك، وأنا اليوم أعرف الإجابة، فعلت لأنني أحببت، أحببت بصدق، وأعطيت بصدق، وصبرت أكثر مما ينبغي، وسامحت أكثر مما ينبغي، وكنت أرى في الشخص الذي أحببته خيرا كثيرا حتى حين كانت أفعاله تجعلني أتألم، لم أكن كاملة ربما أخطأت وربما بالغت في العطاء، وربما كان يجب أن أضع حدودا أقوى، لكني أعرف شيئا واحدا عن المرأة التي كنتها معه لم تكن تتسلى و لم تكن تبحث عن وقت تقضيه فقط بل كانت تبني تحلم و تحاول وكان قلبها صادقا،

كنت لك المرأة التي تسأل عن طعامك قبل أن تسأل لماذا لم تسأل عنها التي تحفظ تعبك وتنسى تعبها، التي تسهر معك لأنك قلت "نيميني"، التي كانت تترك راحتها كي ترتاح، و التي كانت تقول لك: "أنا فخورة بك" وهي تعنيها بكل ما في قلبها،

و التي كانت تسمع شكواك حتى النهاية و تحاول أن تكون لك السكن و السكينة في عالم متعب، التي سامحتك حين كان بإمكانها أن ترحل قبل أن تتأذى أكثر، والتي عادت إليك أكثر من مرة لا لأنها لم تكن تعرف قيمتها بل لأنها كانت تظن أن الحب يستحق فرصة أخرى،

وأنت ربما ستنسى الكثير و ربما ستعتاد غيابي كما اعتدت وجودي يوما و تعيش حياتك وتجد أشخاصا آخرين وتضحك وتنسى بعض التفاصيل،

لكني أتمنى أن يأتي يوم في لحظة هادئة لا تتوقعها تحتاج فيه إلى شيء كنت تجده عندي دائما، كلمة تطمئنك، شخص يسأل إن كنت أكلت، قلب يسمعك حتى النهاية

شخص يفرح لنجاحك وكأنه نجاحه، قلب لا يمل من احتوائك، وفي تلك اللحظة

أتمنى ألا تتذكرني لأنك وحيد بل لأنك ستعرف أخيرا قيمة الشيء الذي كان بين يديك ولم تعرف كيف تحافظ عليه،

لا أريد أن أعود ولا أريد منك اعتذارا متأخرا، ولا أريد أن تأتي بعد أن تفهم، فبعض الأبواب يا من كنت ملجئي يوما حين نغلقها بعد طول ألم لا نغلقها كرها فيمن خلْفها بل رحمة بأنفسنا، وأنا اليوم لا أريد أن أستعيدك، أريد أن أستعيد نفسي،

أريد تلك المرأة التي كنتها قبل أن أعرفك أريد ضحكتها، طمأنينتها، علاقتها بأهلها،

مبادئها و وقتها، وقلبها الذي كان يعطي دون أن يخاف،

تعلمت أن الحنان لا يعني أن أنسى نفسي، وأن الوفاء لا يعني أن أتحمل الأذى إلى ما لا نهاية، تعلمت أن الشخص الصحيح لن يجعلني أعيش خائفة من خسارته، و لن يجعلني أطلب الحد الأدنى من الاهتمام، و لن يجعلني أبحث كل ليلة عن إجابة لسؤال "هل ما زال يحبني"، وأخيرا فهمت شيئا كنت أحتاج أن أفهمه منذ البداية، أنا لم أخسر لأنني أحببت، ولم أخسر لأنني كنت حنونة و لا لأني سامحت، خسارتي الحقيقية كانت حين نسيت أنني وأنا أحب شخصا آخر يجب ألا أتخلى عن نفسي،

أما أنت فربما ستفهم يوما أنك لم تخسر امرأة أحبتك فقط بل خسرت امرأة كانت تعرف عيوبك وتعرف تعبك وتعرف كم مرة كسرت قلبها ومع ذلك كانت ترى فيك الرجل الذي تريد أن تكمل معه الطريق، خسرت امرأة كان بإمكانها أن تختار طرقا أسهل، وأن تقبل قلوبا أخرى كانت تطرق بابها لكنها لم تفعل، كان بإمكانها أن تختار من يقدم لها ما هو أكثر، ومن يمنحها اهتماما لا تضطر إلى طلبه ومن لا يجعلها تقضي لياليها وهي تسأل نفسها "لماذا"، لكنها اختارتك أنت ليس لأنك كنت الخيار الوحيد بل لأن قلبها اكتفى باختيارك أنت من بين الجميع ، تنازلت عن أشياء

كثيرة من أجلك لا لأنها لم تكن تعرف قيمتها بل لأنها كانت تظن أن الرجل الذي اختارته يستحق منها أن تفعل ذلك، ولهذا ستكون خسارتك مختلفة، وربما في يوم ما ستتذكر تلك التي كنت تسميها "فراشتي" دون أن تعرف أن الاسم سيصبح يوما ذكرى بعيدة، وستتذكر كم كانت تطير حولك بحب وكم حاولت أن تجعل حياتك أكثر دفئا حتى أتعبها التحليق وسقط جناحاها

لا أنتظر يوم ندمك، ولن أعود لأثبت لك أنني كنت صادقة فأنا أعرف الآن ما لم أكن أعرفه حين أحببتك أن قيمة الإنسان لا يحددها الشخص الذي خسره بل ما يبقى منه بعد الخسارة، وأنا بقيت انا رغم كل شيء،

أما أنت فستبقى ذات يوم أمام سؤال واحد لا أستطيع الإجابة عنه نيابة عنك

"كيف استطعتُ أن أخسر قلبا اختارني حين كان بإمكانه أن يختار من هو أفضل مني كيف استطعت أن اكون خيبة لمن كانت لي وطنا".